خلف الغرف المغلقة..

مي الكردي

هذه أنا..

منذ زمن بعيد والقراءه هى عــشقى منــذ قــرأت قــصص المكتبه الخضراء مرورًا برجل المستحيل للرائع د/ نبيل فاروق حتى روايات العمالقة يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس وأنيس منصور، كنت أقرأ بكل مكان، في السيارة في المنزل حتى في المدرسة قصصي الصغيرة كانت تحتل دائمًا منتصف كتبي المدرسية، لن أنسى أول مرة أعطتني فيها ابنة عمتي قصة صغيرة من سلسلة روايات مصرية للجيب "رجل المستحيل" فأصبح عشقنا معًا ومحور أحاديثنا.

كان أبي رحمه الله يأخذني للمكتبة حتى أبتاع ما أشاء منها، حتى صار لديَّ بالمنزل علب مليئة بالقصص ثم الروايات والكتب، كان حلمي الصغير السفر من بلدتي الصغيرة بورسعيد إلى عروس البحر المتوسط لزيارة مكتبة الأسكندرية، ومن غيره يستمع لحلم طفلة بالثالثة عشر من عمرها ليذهب بي إلى الأسكندرية لزيارة عمتي ثم يترك الجميع ليصطحبني وحدي لرؤية مكتبة الأسكندرية، ووصلنا المكتبة مبنى كبير رائع عامر بالكتب وأجهزة الحاسب الآلي الحديثة لعمل بحث عليها لمعرفة أي قسم أريد أو عن أي أنواع من الكتب أبحث، كنت أبحث عن رواية قرأت جزء منها من صديقة لي وبحثت عنها بكل المكتبات لأشتريها فلم أجدها، ظللت أبحث عنها وهو بجوارى يبحث معي بكل صبر، حتى وجدتها وجلست أُكملها من حيث توقَّفت، لا أذكر أبدًا أنه تململ وهو المعروف عنه كرهه الانتظار، ظلَّ جالسًا أمامي وأنا ألتهم الصفحات سريعًا حتى لا يُصيبه الملل أو الضيق، مرَّت العقارب الصغيرة لتُكمل ساعة على جلستنا، أصابني الحرج وروايتى لم تنتهى بعد ولكننى أغلقتها بحزم وأخبرت أبي الحبيب أنني انتهيت، نظر إليَّ بقوة مُتسائلًا هل انتهيتِ حقًا أنتِ متاكدة، فأجبته بنعم هيا بنا، وحتى الآن لم

أُكمل هذه الرواية ولم أبحث عنها مرة أخرى فيكفيني السعادة التي قدَّمها لي أبي الحبيب، كفاني اهتمامه ومشاركته وحبه بدون إظهار أي سخط، فرحمة الله على والدي من شجعني وعلمني، بمساعدة أمي التي تقف بجواري كوحش ضاري مُستعد لالتهام كل ما يُحزنني.

مي الكردي

مروة عبد الهادي

خلف الغرف المغلقة

سارت زينب بخطوات مُتمايلة مائعة تطوي الأرض بقدميها المُنتعلتين حذائها الأسود الذي كاد يبلى لولا اعتنائها به وإرساله لعم حسن الصُرماتى لإصلاح ما يطرأ عليه من عطب باستمرار، هكذا فكَّرت فى نفسها وهى تلقي على حذائها متوسط الكعب نظرة سريعة مطمئنة إلى خلوه من الثغرات وتنهدت بارتياح أخيرًا ستتخلص منه باقى يومان فقط لتلقي بكل أشيائها القديمة في أقرب بلوعة كما كانت تقول، كما اطمئنت بزهو إلى ساقيها الجميلتان الناعمتان البارزتان أسفل تنورتها القصيرة.

عدَّلت من وضع حقيبتها على كتفها وأكملت سيرها المُتبختر مزهوة بجسدها الرائع الذى تعلم جيدًا أن كل عيون الرجال والنساء بحارتها الصغيرة بحي شبرا تتابعه، فالرجال يتابعونه اشتهائًا والنساء حسدًا وتحسرًا فليس كلهن يملكن جمال جسدها وبياضه واستدارته تحت شعرها الأسود الطويل الثائر المتموج بطريقة تجعلها غامضة ومثيرة، كما كانت ثقتها كبيرة في تأثير جمال جسدها الأنثوي لإدارة عقول الرجال لتنفيذ ماتريد

هي، كانت ثقتها أيضًا بتأثير عيونها العسلية الواسعة وشفتيها المكتنزتان ووجنتيها المشربتان بالحمرة الطبيعية، ولم تخنها ثقتها تلك ابدًا من قبل.

خرجت من الحارة المصرية الصغيرة على أنغام صفير شبابها، وسارت حتى وصلت إلى مكان انتظار الحافلة العامة لتستقلها وسط النظرات اللاهثة لجمالها المُتفجر ووسط زحام الثانية ظهرًا لم يخلو جسدها من آثار أيادي رجل أو اثنان يقفان خلفها وبجوارها في الحافلة الممتلئة بالشقاء والتعب والعرق، ولكنها لم تعد تستاء، بل تعلَّمت كيف تستفيد من ذلك طالما سيحدث سواء أرادت ام لم ترد، فقد كانت تترك أكثرهم جرأة يتجول بجسدها ويجوب صوامعه الشامخه ويلتصق بها ثم تلتفت إليه وهو في دوار نشوته هامسة:

-تُشكر ياذوق..ادفعلي بقى.

وطبعًا لم يكن يرفض فإما لأنه ليس في كامل وعيه للرفض أو لأنه بالفعل ممتن لجسدها الرائع، أو خوفًا من أن تصرخ وتُثير فضيحة فينكشف ما فعل ولن يصدق أحد أنها هي من سمحت له فكان يدفع أجرتها بالحافلة راضيًا أو صاغرًا.

ابتسمت راضية عندما دفع لها وتحركت بصعوبة، لتقف بجوار بابها استعدادًا للنزول، تعلم وجهتها جيدًا عندما تتوقف الحافلة ستنزل منها لتاخذ سيارة أجرة لتصل بها إلى المطعم الكبير حيث ينتظرها صاحبه الرجل الأربعيني اللاهث خلف جمالها وجسدها البارزة مفاتنه أسفل ملابسها الضيقة دائمًا، إنه العريس المنتظر الرجل الذي نجحت أخيرًا في جعله ينطق وبمحض إرادته طالبًا منها الزواج، ابتسمت ساخرة وهي تنزل من الحافلة فلم يكن عرضه الزواج عليها إلا وهو في غير وعيه ساكرًا بنشوته ورغبته في الوصول لجسدها مهما كلَّفه الأمر.

عرفت ذلك ولعبت عليه جيدًا، تذكَّرت كيف عملت في المطعم كنادلة، فلولا جمالها لم يكن سيد الوهيبي صاحب المطعم وافق على أن تعمل لديه، استعادت نظراته الجريئة على ينابيع أنوثتها المُنبثقة كمياه دافئة تُشفي السقيم، تذكَّرت كيف كانت تتغنج عليه وتُثيره أكثر دون أن يلمسها كانت تتبع معه طريقة (شوَّق ولا تدوَّق) كما كانت تقولها هي، كم كانت بارعة بها وكم كان هو يلهث خلفها كالكلب الذي يجري وراء عظمته المفضلة.

ركبت أخيرًا التاكسي وبعد أن أخبرته بعنوان المطعم،

نظرت إلى النافذة المفتوحة بجوارها تتلمس منها بعض نسمات الصيف الشحيحة، استعادت ذكرى طلب الأستاذ سيد بيه كما كانت تقول له الزواج منها، حاول في البداية إقامة علاقة غير شرعية معها، رفضت وقتها بشدة وغضبت وثارت وخلعت عنها مئزرة العمل وجسدها يهتز غضبًا وتركته وتغيَّبت عن العمل أسبوع كامل، كانت تعلم أخباره من صديقتها هناك، كان عصبيًا مُنفعلًا طوال ذلك الأسبوع، حتى زوجته كانوا يسمعوا صراخه عليها بالهاتف يوميًا، نعم كان متزوج ولديه ولدان وفتاة جميعهم بالمراحل التعليمية المختلفة.

لم يصمد سوى هذا الأسبوع وحادثها وطلب منها راجيًا أن تعود للعمل وأنه لن يُقلل من قيمتها مرة أخرى أو يضايقها، وبالفعل عادت وحاول أن يتماسك ويبتعد عنها ولكنها لم تتركه، ظلَّت تحوم حوله بالشكل الذي يُثيره ولا تجعله يكتشف سعيها خلفه، وقع بشباكها العنكبوتية، فضحكة مع ذاك ودلع مع هذا جعلت غيرته كنار موقد يجلس فوقه ولا تنطفئ أبدًا، بعد أسبوعين آخرين طلب منها الزواج أخيرًا ولكن عرفيًا حتى لا تعلم زوجته أم أولاده، غريب جدًا ما تفعله الرغبة والإثارة بالرجل، غريب جدًا

كيف يمكن أن يسعى رجل خلف أنثى تعصاه باستماتة، وينسى تلك التي وهبت له نفسها وروحها وجسدها، ولكن هذا حال كل البشر الممنوع مرغوب دائمًا وفي كل حين.

حددا موعد الزفاف بعد أسبوعين، طلبت منه زفاف بحارتها ووسط أهلها، لن تعلم به زوجته أو أي أحد بالمطعم، كما طلبت منه شقة فاخرة باسمها وأموال بحساب بالبنك، ووافق عشقه لها ولهفته لاقتناءها بين أحضانه جعلته ينفذ كل ما طلبته، ولكن اشترط عليها ألا تحمل أبدًا فبحملها تنهي علاقتها به إلى الأبد، وافقت هي على الفور وهل ترغب بطفل يهين بوجوده جمال وبهاء جسدها وينهي علاقتها ببنك أموالها سيد الوهيبى، لأ طبعًا فبُعدًا لهذا الطفل الذي قد يعود بها للفقر مرة أخرى.

لم يكن يُنغِّص عليها فرحتها سوى مجدي، باقي على موعد زفافها على سيد يومان فقط، هي ذاهبة له الآن لتُثيره أكثر وتأسر بعضًا من أمواله لتشتري بها ما تحلم به وتريد فهو يعلم أنها لا تملك شيئًا، وكانت بكل براءة واقتدار تأخذ منه ماتريد وهو يدفع بكل سعادة كالطفل الذي يشتري أجمل ألعابه على الإطلاق، لن تنكر أن بعض هذه الأموال تُجنَّبها كي تلقي بها لمجدي وقت

اللزوم، وقد حان وقتها الآن، فبعد أن طلب منها بالأمس أن يراها اليوم على انفراد ورفضت، ورأت كيف استشاط غاضبًا وهدَّدها بإفشاء كل الأسرار ولكن كيف يبوح بسر قد يفضحه كما يفضحها، خافت منه للغاية ووافقت أن تُقابله وعقدت العزم على محاولة إرضاءه بكل الطرق أهمها الأموال، فهي لا تريد أن يعبث بزواجها الثمين كما يفعل ميكانيكي فاشل بسيارة مرسيدس.

وصلت للمطعم ودخلت لسيد على الفور، لم يكن سيد ممتلأ بالشكل الذي يُنفرها منه، وكان دائم الضحك معها ومع الجميع، لم يكن بالرجل البشع الذى تدفن شبابها معه بل كان يعشق الحياة وكان هذا بالإضافة لأمواله أكثر ما يُسعدها، أخذت منه ماتيسَّر من أموال، وخرجت متوجهة على الفور عائدة للحارة، فسترى مجدي بالبيت، خاصةً أن أخواتها الصغار في هذه الفترة من النهار يلعبوا بالشارع ولا يكترثوا لما تفعله هي.

لديها أربعة أخوة وهي الخامسة فتاتان بالمرحلة الابتدائية، وصبي بالإعدادية، وشاب بالجامعة وهي أكبرهم، أبويهم توفيا منذ زمن وأصبحت هي المسئولة عنهم جميعًا، حاولت قدر المستطاع إبقائهم بالمدارس عملت بكل الوظائف حتى تتمكن

من إعالتهم، تعبت كثيرًا وآن أوان الراحة ولن تسمح لمجدي بسلبها إياها، عانت طفولة ومراهقة بائسة مليئة بالمضايقات والتحرشات وحاربت بكل الطرق حتى تُجنب أُختها ذات المصير، ولذلك طلبت أيضًا من سيد أن يفتتح لها محل ملابس لتصرف منه على تعليم أُختها ولدهشتها وافق أيضًا أجَّر لها المحل والبضاعة قاربت على الوصول، وسيكون افتتاحه بعد زواجهما، عليها فقط أن تجعله لا يمل منها أبدًا.

وصلت أخيرًا للبيت فوجدته ينتظرها على الفراش الصغير الوحيد بالغرفة الصغيرة التي تعتبرها بيتها، وجهه أحمر وعيناه متسعتان ينُمَّان عن غضب مكتوم، كادت تشعر أن دخانًا سينطلق مصفرًا من أذنيه كقطار عتيق يُزمجر اعتراضًا على السير وحمل البشر، ألقت بحقيبتها وجلست قبالته على المقعد المُتهالك قائلة:

-مالك يامجدي عينك بتطق شرار كده ليه؟

-إنتِ خلاص هتتجوزي الراجل ده.

-أيوه.

-وأنا هعمل إيه؟

إذًا هذه هي المعضلة، كانت قد أخبرته أن عليه أن يُصرِّف

أموره بدونها، يعمل كأي رجل ويصرف على نفسه وينساها تمامًا لن يلمسها بعد اليوم ولن ينتقل للعيش معهم بالبيت الجديد الذي اشتراه لها سيد، يبدو أن لديه اعتراض على ذلك، أخبرته أنها اتفقت معه من قبل على ذلك، ثارت ثائرته، ارتعبت عندما رأته يدور بالغرفة كالعجل الذبيح يكسر كل ما تطاله أطرافه، حتى طالتها يداه قبض على كلتا ذراعيها بقوة صارخًا بأنه لن يستطيع أن يعيش بعيدًا عنها وعن جسدها الذي كان شربة الماء التي تروي ظمأه دائمًا، يعلم أنه آثم ولكن لم يعد هناك أي مجال للتفكير بعد ما حدث بينهما من تجاوزات غير شرعية لم تصل لأن يُجرِّدها من صك عذريتها، ولكنها أصبحت إدمانه، حاولت إعطاؤه الأموال التي جمعتها من أجله أخذها قائلًا بغضب:

-عايزة ترميلي قرشين وتعيشي إنتِ في النعيم لوحدك صح؟! لأ ياهانم يا اجى أعيش معاكوا يا إما مش هوافق على الجوازة دي.

-ده على جثتي إنك تعيش معايا في بيت واحد تاني بعد كده، يا أخي خلي عندك دم خلَّص جامعتك وروح اشتغل واتجوز وحل عني بقى، دي أخر فلوس هديهالك بعد كده مش عايزة

أشوف وشك بدل ما أخلي سيد يبعتلك شوية بلطجية يعدموك العافيه عشان تقول حقي برقبتي.

انتفخت أوداجه غضبًا، ستُحرِّم عليه جسدها وأيضًا أموالها، سيتحمل الأولى لكنه أبدًا لن يقبل أن تحرمه الثانية، كيف يعيش؟! ومن أين يصرف على نفسه؟! لابد أن يجعلها توافق بأي طريقة أن ينتقل للعيش معها بعد زواجها، أو على الأقل تستمر في تزويده بالمال حاول إقناعها بذلك قائلًا باستياء لم يتمكن من إخفاؤه، دائمًا هو فاشل بكتم ما يعتمل داخله:

-عايزة تبعتيلي بلطجية يضربوني يابت، خلاص من دلوقتِ والفلوس قوَّتك وشايفة نفسك عليا، إنتِ عايزة قطم رقبتك عشان تتعدلي تاني.

ثارت ثائرتها وألقت على مسامعه كل ما بجعبتها من شتائم، ألم يكتف بما طالته يداه من جسدها، منذ كانت صغيرة وهي لا تدري لِمَ يعبث بمفاتنها المُتبرعمة بهذه الطريقة الفجة وهو المُفترض به حمايتها، أخبرته كم كان يُثير ضيقها واشمئزازها منه ومن جسدها وهو يُطلق رغباته عليها كالنمر الجائع لا يهمه أي شيء سوى الحصول على فريسته، حدثته حانقة أنه من حقها بعد

كل تلك الانتهاكات لجسدها ونفسها ألا تراه بعد الآن، فكلما وقعت عيناها عليه تذكَّرت كيف كان يقتحمها بيديه وهي نائمة مُنهكة من عناء العمل طوال النهار، كلما تراه تتذكر كيف كانت تستيقظ على امتهان يداه لأماكن أنوثتها ليُطفئ نيران شهوته، أخبرته هائجة أنها لا تريد أن تقع عيناها عليه أبدًا في حياتها الجديدة فيكون كالحجر الذي يُعكر صفو مياهها.

اكفهر وجهه من هول مايسمع منها فسماع الحقيقة يُجسدها دائمًا كوحش دميم ثائر يُطيح بكل ما حوله من أكاذيب نُرقَّع بها أنفسنا ودواخلنا حتى لا تتجلى أبدًا، فداخت أكاذيبه على نفسه وعليها، تاهت أمام بشاعة ما ذكرت من حقيقة لم يتمكن من مُجابهتها فانهال عليها ضربًا وكأنه بذلك يضرب نفسه التي اغتصبت برائتها، لم يعد يرى أمامه حتى أنه لم يشعر بيده التي تحمل سكين المطبخ الصدئ وهي تنغرس ببطنها ظلَّت تصرخ صراخًا مدويًا، لا يقوى جسدها الأنثوي على مجابهته وحماية نفسها ستموت بيديه ظلمًا وعدوانًا، خارت قواها أخيرًا، فرأت اتساع عيناه هلعًا، هل حقًا قتلها لأول مرة يشعر بأصابعه تقبض على سكين المطبخ، كيف أتت إلى يده ومتى؟! وما هذه الدماء التي

تسيل بغزارة من بطن زينب انهار بجوارها أرضًا واحتضنها قائلًا:

-لأ..لأ..متموتيش، إوعي تموتي، العيال الصغيرة محتاجنلك، وأنا خلاص هختفي ومش هتشوفي وشي تاني، زينب، بت يا زينب، يعني كان لازم تطوَّلي لسانك، لو كنتِ وافقتي أعيش معاكوا وتفضلي تديني فلوس مكنش كل ده حصل، إنتِ السبب، إنتِ السبب!!

حتى الآن مازال يُرقِّع الحقيقة بأكاذيب صمَّاء لايسمع بها سوى نفسه فقط، لم يعد يشعر بكل ما حوله لم يتمكن حتى من الهروب فصراخها جلب كل أهل الحارة حوله، ومنهم من بلَّغ الشرطة ومنهم من تولى الإمساك به بعد إبعاده عن جثتها الهامدة الغارقة بدمائها، العروس تفترش اللون الأحمر قبل أن ترتدي الأبيض وبيده هو، كان لايزال غائبًا عما يحيط به يردد فقط:

-إنتِ السبب...إنتِ السبب.

بعد أن أخذته الشرطة تناقلت أخبار الحادثة بين جميع بيوت الحارة الصغيرة وكان الجميع يرددوا سؤال واحد فقط تتقاذفه الألسن كالعلكة السائغة:

-الواد مجدي قتل البت زينب أخته ليه؟!

وظلَّ السؤال بلا إجابة فالسر مات معها وتاه معه، فلا أحد يعلم بشهوة شاب يتحرش بأخته يوميًا ولا تقدر هي على البوح فلا أم لها ولا أب، فقد يبدو الجميع أخيارًا مثاليون لكن لا أحد يدري ما يحدث خلف الغرف المغلقة.

و أهو ده اللي صار!